تقديم

بقلم كيرت أندرسون

أوغسطس 6، 2010

تخرجت فـي الكلية، ولم تكـن هناك أيّ بادرة لوجـود وظيفة في المستقبـل القريـب مطلقًا، كما لم تكن لدي أدنـى رغبة في العودة إلى ديـاري في نبراسـكا. وكان كلّ ما أعرفـه أنني أريد العيش في مدينة نيويـورك، والتسكع مع الناس الذين يقومون بأعمال مبدعة، والحصول علـى الأمـوال للقيـام بعمـل إبداعـي بنفسـي، ولكنني لم أكـن أعرف التمثيل، ولا الغناء، ولا الرقص، أو العزف على آلة موسيقية، أو الرسم. وعندمـا كنـت فـي الحاديـة والعشرين، كنـت أحلم في خطـة لحياتي المهنيـة. والغريـب جدًّا، أنني قمـت بتنفيذها بكلّ ما فيهـا من ضياع، ومجد غيـر مرغوب فيه طـوال السنوات الخمس والثلاثيـن الماضية؛ فأنا من نيويورك؛ وجلّ أصدقائي من الكتاب، والفنانين، والسينمائيين، والموسيقييـن، والمصممين. وقد كسبـت رزقي إلى حـدّ كبير في كلّ مجـال من المجالات الإبداعية التي لا تتطلـب معرفتي في الموسيقا أو الرسم. أو حتى الرقص.

ولكن قبل عَقْدٍ من الزمن فقط، توافرت لي فرصتان متتابعتان من العـودة إلى الوراء، والتأوه التي أوضحت لي أخيرًا مسار حياتي المهنية المتعثِّرة، ما جعلني أفهم المتطلبات الأساسية للإبداع.

سنحـت الفرصة الأولى عندما قرأت مقـالًا مُعَنْوَنًا بِـ روح الهواة، ألفـه الكاتـب والعالم الكبير دانيال بورستين؛ ذكـر فيه أنّ الجهل ليس العقبـة الرئيسة أمام التقدم، بل الادعـاء بالمعرفة. فالهاوي لا يخاف فعـل شيء ما أوّل مرّة. . . . فمكافآت الفكر والفنون تنبع من الشجاعة في محاولة شيء ما، كلّ أنواع الأشياء، أول مرة . . إذ ليس هناك حاجة إلى أن يكون الهواة عباقرة للبقاء خارج الرّتابة التي لم يدربوا فيها.

بورستين؛ الأمير المعتمد والأسمى من قبل المؤسسة الفكرية، والمهني المثقف ثقافة فكرية متناهية، والحاصل على منحة رودس، وحامل شهادة الدكتوراه، وأستاذ في جامعة شيكاغو وجامعة كامبردج، ومدير المتحف، وأمين مكتبة الكونجرس، كان يقول: في السبعينيّات كانت الكفاية المهنية من النوع الجيد (المعرفة، والكفاية، والموثوقية) لها مكانتها، ولكن الهاوي المتحمس، والعاطفي المتهور قليلًا هو ما نحتـاج إلى رعايته في حياتنا المهنية، وبخاصة إذا كنا نطمح إلى الإبداع في العمل الذي نقوم به.

وبعـد بضعة أشهـر وجدت نفسي أقـوم بمقابلة صديقـي الهزليّ الرائـع تيبور كالمان؛ مصمم الرسـوم البيانية والمؤلف المتنوع. يمكن الاطـلاع علـى نصّ حديثنا في كتـاب نُشر عن عملـه. كان في التاسعة والأربعيـن عندما تحدثنا عن علمه بأنه بقي له أشهر فقط للعيش. كان تيبور دائما ذكيًّا في طبيعة العمل الإبداعي، ولكنه الآن فقد الحكمة.

قال لي: أنت لا تريد أن تفعل كثيرًا من المشروعات من نوع مماثل. فعادة ما نقوم بعملين اثنين من الأشياء: الأول، تصاحبه اللعنة بطريقة مثيرة للاهتمام. أما الثاني، فتقوم به بطريقة صحيحة. لقد سعيت إلى الانتقال إلى كثير من مجالات أخرى ممكنة، أي شيء يمكن أن يأخذني بعيدًا عن تصميم الرسوم البيانية؛ فقط كي لا يلازمني الشعور بالملل. وكلما كنت أجهل تماما كيفية القيام بشيء ما، كنت أقوم به على نحو جيد. وعندما تعلمت تمامًا كيفية القيام بشيء ما، كنت أفعله بدرجة أقل إتقانًا؛ لأنّ ما سأقوم به سيصبح أكثر وضوحًا.

أدركت أنّ كامل حياتي المهنية والإبداعية حتى الآن كانت تسير بطريقة مماثلة، من خلال الانغماس في روح الهواة : فقد أقدمت على القيام مرارًا وتكرارًا وبكل صلف وغرور، باقتحام وظائف لم يكن لدي أيّ خلفية أكاديمية أو تدريب فيها، ولكنني قمت بها بجدٍّ متناهٍ؛ على أمل أن تتحول عدم خبرتي بطريقة أو بأخرى إلى ابتكار مثير للاهتمام. لم يكن لدي أيّ تجربة في الكتابة الإذاعية، ولا كتابات أخبار التلفاز (حيث كانت مهمتي الأولى العمل لتلفاز NBC)، ولا عن السياسة أو الجريمة (وظيفتي الثانية لبعض **الوقت**)، أو عن الهندسة العمارية والتصميم (أيضا لبعض **الوقت**). وعندما أسهمت في تأسيس مجلة **الجاسوس** (وظيفتي الرابعة)، لم أحرّر في حينها مطلقًا كتابة أيّ شخص عدا ما كنت أكتبه لنفسي، ولم أقم بإدارة الأعمال أيضًا. وتكرر الشيء نفسه عندما كتبت وأنتجت الملهاة المخصوصة لشبكة (NBC)، وكتابة العمل المسرحي الساخر خارج برودواي، وكتب نصوص (لديزني)،

وبعـت روايتي الأولى (رانـدوم هاوس). لقد أقنعنـي الأستاذ بورستين وصديقي تيبور أنّ ما قمت به بطريق المصادفة، وبأثر رجعي، والانتقال مـن وظيفـة مثيرة إلـى أخـرى أكثر إثـارة للاهتمـام مع عـدم وجود إستراتيجية حقيقية، هو الأساس الفلسفي للحياة.

بعـد مدّة قصيرة من اللحظة التي رأيت وفهمت فجأة من خلالها الأشيـاء بطريقة جديدة واضحة جدًّا، استدعاني المديرون التنفيذيون مـن الإذاعة العامة الدولية WNYC دون علـم مسبق وسألوني: أترغب في تقديـم برنامج جديد نحن في صدد إعداده عـن الفنون، والترفيه، والإبـداع؟ رددت: حقًّـا! هل تعنون مـا تقولون؟ حيث مجمـوع خبراتي الإذاعيـة علـى الهواء مباشـرة لا تتعدى بضع مقابـلات معي عن كتب ومقـالات كنت كتبتها. تقديم برنامـج أسبوعي على الهواء مباشرة من خلال الإذاعة العامة! هل كانوا جادين فعلًا؟ لقد فعلت كثيرًا من الأمور لم يكن لديّ أيّ خبرة بها، ولكن لم يطلب إليّ أحد في أيّ وقت مضى أن أفعل شيئًا ليس لديّ أدنى خبرة في القيام به.

هـذا ليـس صحيحًا تمامًا؛ فقبـل عشرين عامًـا، اتصل بي مدير ومخرج مسرحـيّ، دون سابق علم ومعرفة، وسألني عما إذا كنت مهتمًا فـي القيام بالدور الرئيس فـي إنتاجه القادم؛ مسرحية **عطيل**. رددت: أحقًّـا مـا تعنيه؟ حيث لم تتجـاوز خبرتي في التمثيـل والمسرح القيام بدور الرّبان هوك في عمل مسرحيّ مدرسيّ من إنتاج **بيتر بان**. هل كان يعني ما يقول؟ حسنًا، وكما اتضح فيما بعد، **لا**: فما كان يعنيه هو دعوة ممثل (أمريكي من أصل إفريقي) يدعى كيرت أندرسون. رقم غير موفّق.

ولكن هذه المرة، اتضح فيما بعد، أنّ في نِيّة القائمين على الإذاعة العامة حقًّا الاتصال بي، وليس الشخصيات الإذاعية المخضرمة مثل، كيرتس آندريسين، أو كارل أندروز، أو كارتر أندرياز. كانوا يعنون ما طلبوا إليّ القيام به فعلًا. وهذه هي الطريقة التي جئت من خلالها للمساعدة في ابتكار برنامج (ستوديو 360) وتقديمه.

ما نفعله كلّ أسبوع من خلال هذا البرنامج هو محاولة إظهار كيفية عمل الإبداع من خلال دراسات حالات منفردة كلّ على حدة، من خلال الحديث مطولًا وبعمق مع بعض الأشخاص الأكثر موهبة في العالم عن كيف ولماذا يفعلون ما يفعلونه. ومن أجل هذا الكتاب استخلصنا الحكمة الأكثر أهمية من خلال مئات المحادثات لإيجاد نوع من كتب التوعية عن عملية متابعة الأهواء الإبداعية الصعبة والمنعشة. فكان برنامج الإبداع يضم مئة وواحدة من محاضرات الفنانين الرساميين، والمصممين: تشاك كلوز، ودينيس سكوت براون، وروبرت فنتوري؛ وصناع السينما: كاثرين بيغلو، وآنغ لي، وميرا ناير، وكيفن بيكون؛ والكتّاب: ريتشارد فورد، وجويس كارول أوتس، وجون ايرفينغ، وتوني كوشنر؛ والموسيقيين باتي لوبون، وروزان كاش، وروبرت بلانت، و يو يو ما، وكثير من الفنانين الآخرين غيرهم. ربما كنت فنانًا أو من المحتمل أن تصبح فنانًا، أو ربما كنت مغنيًا من الهواة أو رسامًا أو كاتبًا. إذا كان الأمر كذلك، فعدّ هذا البرنامج كتابًا تمهيديًّا عن كيف أنّ بعض أشهر الموهوبين، والأشخاص الناجحين قد أطلقوا مواهبهم وحققوا نجاحات كبيرة. ولكنني مقتنع أيضًا أنّ هناك كثيرًا

مـن الدروس القيمة، التي تـم تعلمها بشقِّ الأنفس، عـن العيش والعمل علـى نحو مبدع يمكن تطبيقه على أيّ حياة، وأيّ وظيفة تقريبًا. أو ربما كنت تريد ببساطة الاستمتاع بنظرة حميمة على حياة بضع عشرات من نجوم الثقافة. إذا كان الأمر كذلك؛ فاستمتع.

ما أدركته بعد التحـدث إلى هذه الثلة الملهمة من المبدعين، من خلال خمسمئة عرض التي قدمتها، هو أنّ ما تعلمته من دانيال بورستين وتيبـور كالمان قبـل عقد من الزمن ينطبق إلى حـدّ كبير على كلّ عمل يستحـق القيام بـه، ولا سيّما العمـل الإبداعي: حيث الشـرط الأساس لممارسة العمل المثير هو أن تكون متحمسًا للقيام به، وصولًا إلى القيام بعمل ما، أو تقديم شيء لم تكن قد فعلته أو قدمته من قبل، والذي يبدو، في الأقلّ، مخيفًا بعض الشيء، أبعد من مجرد منطقة راحتك. كتب .E B. الشهير: «لا ينبغي لأحد القدوم إلى نيويورك للعيش إلا إذا كان على استعداد لأن يكون محظوظًـا». والشيء نفسه ينطبق على الناس الذين يرغبون في القيام بأيّ نوع من العمل الإبداعيّ.

وبمجـرد أن اعتمـدت هذا النموذج والمثال مـن روح الهواة فقط منـذ أكثر مـن عشر سنـوات، والمخاطرة فـي محاولة القيـام بأشياء جديـدة، والبقاء بعيدًا عن الرّتابـة، ورفض الإصابـة بالشلل خوفًا من النقصـ أو حتـى الفشل، وفتح نفسـي على الحظ، أي إنـه، وبمجرد أن أصبـح شعوري الواعي الطريقة التي كنت تعثرت من خلالها في الحياة دون تفكيـر، بدأت باكتشاف أعضاء آخرين فـي هذا النادي، مثل داني بويـل؛ المخرج الذي قـدم برامج 127 **سـاعة**، والفلم الشهير **سـلم دوغ**

مليونير، والمهتم، وثمانية أفلام روائية أخرى. حيث قال لصحيفة **نيويورك تايمز**: كلّ شيء بعد الشيء الأول عمل تجاري. فهناك شيء عن البراءة والفرح عندما لا تعرف تمامًا ما تفعله. هذا ما قاله ستيف جوبز، عندما تحدث عما هو غير متوقع عند تعرضه للطرد من شركة أبل بعد تسع سنوات من تأسيسه للشركة. وأضاف: إنّ عبء أن تكون ناجحًا، قد استبدل بخفة بكونك مبتدئًا مرة أخرى، وغير متأكد من كلّ شيء. لقد حررتني هذه التجربة للدخول في أحد أكثر أوقات الإبداع من حياتي. وهي المدّة التي، ومن بين أمور أخرى، أسست الرسوم المتحركة المدهشة في ستوديو بيكسار.

أنا لست شخصية متدينة، ولكن إذا اضطرت إلى الاختيار فربما سأختار البوذية؛ لأنّ ممارسيها يكتبون ويقولون أشياء متناقضة، مثل هذا الخط من قبل الرئيس شونريو سوزوكي: «في عين المبتدئين هناك كثير من الاحتمالات، ولكن في عقل الخبير العدد قليل». وهذا ما كان يعنيه تيبور، وبورستين وبويل وجوبس. وكما أوضح ريتشارد سيرا قبل بضع سنوات في محادثة على ستوديو 360، التي أدرجتها في الفصل 2: «أنا ذاهب لمجرد بدء اللعب»، وقال سيرا لي عن قراره التخلي عن الرسم عندما كان شابًا: «لم تكن لديّ أدنى فكرة عما كنت أفعله».

تعلمت كيفية تقديم برنامج إذاعي وطني من خلال تقديم برنامج إذاعي وطني بصحبة أشخاص كانوا يعرفون كثيرًا من المعلومات عن الإذاعة أكثر مما كنت أعرف، وبخاصة جولي بورشتاين؛ المنتجة التنفيذية لبرنامجي من عام 2000 وحتى عام 2009. وقد كتبت للتلفاز

والإذاعة والأفلام، حيث كنت أعرف كيفية كتابة الجمل للصوت والأذن بـدلًا مـن العين، وكنت أعـرف كيفية سـرد القصص. ولكنني تعلمت كيفيـة القيام بنوع جديد من المحادثة، حيث نطقت الجمل والتحليلات التي احتوت الحد الأدنى من **التوقف والتردد**، والأحاديث التي نادرًا ما قوطعت خلالها. ومع ذلك أخذت زمام المبادرة.

إضافة إلى هذا، وفي مرحلة إعداد برنامج ستوديو 360 مع جولي وبقيـة فريـق المنتجيـن، كان لي الهـدف نفسه كما هي الحـال عندما أنشأت المجلات، والمواقع الإلكترونية، وإنتاج البرامج التّلفازيّة، وكتابة الروايات، وهـو الشيء الذي أرغب في قراءته، أو مشاهدته، أو سماعه، حتـى لـو لم يكن لي أيّ شيء حيال ذلك، وكان ذلك على عكس أيّ شيء موجـود. بالنسبة لي، هـذا هو أيضا كيفية عمل الإبـداع؛ عندما يعمل. وبهـذا المعنـى، الإبداع هو الأنانيـة، ولكنه مستمد ممـا أسميه الأنانية الجيدة؛ شيء مثل الكولسترول الجيد.

في السنـوات العشر التي قدّمت فيها البرنامـج، كنت قد أجريت أكثـر من ألـف محادثة مع بعض الأشخاص الأكثـر إبداعًا وأهمية على وجـه البسيطـة. وقد فاجأني كثيـرون منهم؛ فقبـل أن التقيت بسوزان سونتـاغ، مثلًا، شعرت بالخوف؛ فقد كانـت بطلتي المفضلة لعقود، وقد قال منتجي برنامجي: إنّ السيدة سونتاغ لا ترحب التعامل مع **الحمقى**. فـي حال كنت أنا واحدًا منهم. ولكن تبيـن أنّ نقاشنا الذي امتد ساعة كاملة واحد مـن أفضل النقاشات التي أجريتها، والنقاش الوحيد الذي قدمتـه من خـلال برنامج ستوديـو 360 الذي حظـي بملاحظة مكتوبة

بخط اليد تقول: شكرًا لكم. كما فوجئت جدًّا بالروائي والصحافي نيك توسشيـز، الذي بذل قصارى جهـده للإساءة لي، ولمـا فشل في ذلك، غادر (الاستوديو) للتدخين في منتصف وقت عرض البرنامج ولم يعد بتاتًـا. فوجئت أيضًـا عندما تذكر غور فيدال أنه هـدد مرة بمقاضاتي عن مقالة كنت قد نشرتها عنه. كذلك فوجئت عندما أجهت تويلا ثارب في البكاء. أيضًا، فوجئـت عندما أصبحت روزان كاش صديقة مقربة. وعندمـا طلب إلـي نيل غيمن، بعد سنوات من ظهوره فـي البرنامج، إنْ كنـت أفضل كتابـة مقالة قصيرة عـن الكتابة الخياليـة لتضمينها في مختارات كان مسؤولًا عن تحريرها. كتبت المقالة، ونُشرت في الصيف الماضـي أول قصة من الخيال العلمي. مرة أخرى، لم أكن أعرف كيف سأفعـل ذلك، ولم أكن متيقنًا على وجه الخصوص أبإمكاني فعل ذلك؟ ومـع ذلك فعلتها، وكنت سعيـدًا بالنتيجة. تلك هي الرهبة والفرحة من زرع الثقـة في روح الهواة، وأن تكـون مستعدًا لأن تكون محظوظًا، ورؤية إلى أيّ مدى سيأخذك الإبداع.